CC BY



# المقصديَّة في ضوء التداوليَّة المعرفيَّة

## قراءة لنماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهليّ

علا هاني صبريّ * وعبدالله خليف خضير الحيّاني **

تأريخ التقديم: 2022/9/18 تأريخ القبول: 2022/10/1

**المستخلص:**

تسليط هذا البحث الضوء على مفهوم القصد أو المقصدية في ضوء التداولية المعرفية ويعرض المفهوم ودراسته وتطبيقه بهذا التوصيف على نماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلي ؛ إذ تسهم المقصدية في تشكيل المعنى في المقولات، وفي تأويل المتلقي لها؛ إذ يتوقف عليها التأويل، ولا سيما حين نعني أكثر مما نقول. وقد اعتنى القدماء والمحدثون عناية فائقة بالقصد وكانت نتيجة هذه العناية تأسيس نظرية في المقاصد. وقد أدخل مفهوم المقصدية في تحليل العبارات اللغوية وفهم كلام المتكلم على يد فلاسفة أمثال (فتجنشتاين المتأخر، أوستن، غرايس، ستراسون، سيرل)، وجاء التطبيق على نصوص مختارة من الشعر العربي وان كانت قليلة بسبب ضيق اوراق البحث إلاّ أنّها ادل على ما اردنا إيضاحه.

**الكلمات المفاتيح : التداولية ، المعرفية ، المقصدية**

**التداولية المعرفية:**

لقد اعتنت البشرية بالمعرفة وفهم طبيعتها منذ القدم، وكانت هذه العناية في البدء مُقتصرة على الفلاسفة الذين قاموا بتأسيس نظرية عرفت "بنظرية المعرفة Epistemology" وتعني "البحث في طبيعة المعرفة وأصلها وقيمتها ووسائلها وحدودها" [1]؛ فكانت هذه النظرية الحجر الأساس لظهور العلوم المعرفية "Cognitive Sciences " عندما توسعت دائرة العناية بالمعرفة لتشمل مجموعة

* مدرس مساعد/قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل.

** أُستاذ مساعد/ قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل.

(1) المعجم الفلسفي ، جميل صليبا: 478/2.

علوم ذات تخصصات أكاديمية مختلفة يجمعها هدف مشترك :هو دراسة المعرفة بكل أشكالها وبنائها، وآليات التفكير وفهمها، ودراسة القدرات الذهنية: كـــ(الانتباه، الإدراك، التذكر، الاستيعاب وغيرها)، ومن ثم يمكن القول إن هدف العلوم المعرفية هو فهم الفهم؛ لذا كان تعريف لوموانى (Le Moigne) [1]: للعلوم المعرفية: "هو تخّصص محّدد (منذ 1977) بصفة مستقلة هدفه دراسة العمليات المعرفية بشكل عام ــ الطبيعية والاصطناعية-عن طريق نمط يُشّكله التفاعل المنظَّم والمنظِّم لعدد من التّخصصات التي لها علاقة بالعمليات المعرفية: علوم الاحتساب والإعلام، المنطق، اللّسانيات، اللّسانيات النّفسية، علم النفس المعرفي، علم النفس الأعصاب، علم النّفس الاجتماعي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، الابستمولوجيا. فالإدراك/المعرفة وفعل التعّرف /الإدراك يتحّددان انطلاقًا من مجموع العمليات المعرفية الطبيعية والاصطناعية"[2] ، وهذه العلوم تحكمها علاقة التأثير والتأثر بينها. فقد وضح فرانسوا راستيي (RASTIER) [3] العلاقات بين العلوم المعرفية بالخطاطة الآتية:[4]

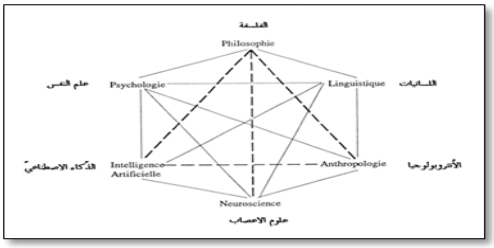


إذ ترمز الخطوط المتواصلة بين التخصصات إلى العلاقات القوية في حين ترمز الخطوط المتقطّعة إلى العلاقات الضعيفة بينها، فنلاحظ أن اللسانيات مثلاً تؤثر وتتأثر بكل من الفلسفة وعلم النفس بشكل كبير، بينما تقل الصلة بين علوم الأعصاب

(1) ينظر: ملحق الأعلام الأجنبية.

(2) نقلاً عن: مقدمة في اللسانيات المعرفية، ذهبية حمو الحاج، مجلة الخطاب، العدد 14، سنة 2013: 29.

(3) ينظر: ملحق الأعلام الأجنبية.

(4) - LINGUISTIQUE ET RECHERCHE COGNITIVE, François RASTIER, Histior 'Epistemologies Language revue 11-I, 1989,p10

والفلسفة؛ ويعود ذلك إلى أنها تخضع لمجالاتٍ معرفية مختلفة. وفي الخمسينيات من القرن العشرين وتحديداُ في (11 أيلول1956) ألقيت مقالات مهمة في ندوة منظمة من طرف معهد ماساتشوستس (IMT Massachussetts) للتكنولوجيا عُدَّ بعدها هذا التاريخ بمثابة ولادة للعلوم المعرفية ومن فعاليات هذه الندوة: [1]

1. قدم (سيمون Simon) و(نيويل Allen Newell) [2] مداخلة توصلا إلى أنّ الحاسوب بإمكانه أن يزودنا بأنموذج لاشتغال الذهن البشري.

2. ضم (تشومسكي Chomsky)[3] اللسانيات للعلوم المعرفية باقتراحه مقاربة رياضية "توليدية " لإنتاج عدد غير محدود من العبارات من عدد محدود من القواعد ثائرًا بها على السلوكية التوزيعية التـــــي تبناها بلومفيلـــــد وداعيًا للنظر إلى اللغة على أنها نظام معرفي.

3. كما بين (جورج ميلرGeorge Miller)[4] بتجارب غير سلوكية أن الذاكرة القصيرة المدى المُستعملة أثناء التفكير في المهام البسيطة لديها قدرة تخزين أكثر من خمسة عناصر مع إضافة عنصرين أو إنقاصهما

ونلاحظ أنّ عناية العلوم المعرفية انصبت على العمليات الداخلية للذهن، مسلحة بنماذج طورت عبر علوم الحاسوب، فضلًا عن المستجدات العلمية في مجال أبحاث المخ. [5]

---

(1) يُنظر: التّداوليّة اليوم: 51-52 ، و التداوليّة أصولها واتجاها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان -الأردن ، 1437 ه - 2016م : 59 ، العلوم المعرفية: الواقع والآفاق، عمر بيشو ، https://www.aljabriabed.net/n96_02bichou.htm

(2) ينظر: ملحق الأعلام الأجنبية.

(3) ينظر: ملحق الأعلام الأجنبية.

(4) ينظر: ملحق الأعلام الأجنبية.

(5) ينظر: فلسفة الذهن ، العلوم المعرفية، والظاهريات ، شاون غالاغر، ترجمة بدر الدين مصطفى، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، (د.ت ) ، 2019م: 5

وممّا تجدر الإشارة إليه كثرة الترجمات لمصطلح (Cognitive Sciences) فقد ترجم إلى (العلوم العرفنية، والعلوم المعرفية، والعلوم العرفانية، والعلوم الإدراكية). وركن عدد من الباحثين في ترجمة مصطلح (cognition) إلى المقابل العربي (الإدراك) ــ ولا سيما عند المشارقة ــ فذاع عندهم وتم تداوله في الكتب والبحوث والمجلات؛ فجاء العدد المئة من مجلة "الفصول" وهي مجلة نقدية تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بعنوان " الإدراكيات"، وكذلك تضمنت المجلة الدولية التي تصدر عن قسم اللغة العربية بجامعة قطر "أنساق" في عددها الأول عدداً من الابحاث التي حملت في عنوانها مصطلح الإدراك. (*) واعتمد هذه الترجمة الدكتور تحسين رزاق عزيز في ترجمته كتاب "اللسانيات الإدراكية"، لزينايدا بوبوفا ويوسف ستيرنين. والدكتور إبراهيم بن منصور التركي في كتابه " دراسات في البلاغة الإدراكية " وغيرهم آخرون. وأبدى عدد من المترجمين والباحثين المبررات والدواعي في اعتمادهم هذه التسمية في حين أنّ الآخرين لم يدلوا بدلوهم بشأن المصطلح أو أسباب اعتماده دون غيره. إلاّ أننا لا يمكن أن نرتضي هذه الترجمة، فالمُتتبع لجمهرة المعاجم الفلسفية ومعاجم علم النفس خاصةً؛ لكونهما أكثر المجالات عناية بالمعرفة البشرية وقضاياها، يلحظ شبه أجماع على أنّ المقابل لـــ(الإدراك) هو المصطلح (perception) فنجد في المعجم الفلسفي مثلا أنّ الإدراك في الفلسفة الحديثة "يدل أولاً على شعور الشخص بالإحساس أو جملة من الإحساسات التي تنقلها إليه حواسه؛ فالظاهرة النفسية التي تحصل في ذات المدرك ، عند تأثر أعضاء الحس، تشتمل على وجهين أحدهما انفعالي(Affective) والآخر عقلي (Intellectuelle)، والواقع أنّ الإحساس والإدراك كليهما مُصطبغان بلون انفعالي وعقلي معاً، ولكن الإدراك يزيد على الإحساس بأنّ آلة الحس تكون فيه أشد فعلاً، والنفس أكثر انتباهًا، فيكون الشيء الخارجي أبين، والصورة المرتسمة في

(*) منها "المقاربة الإدراكية للرمزية الصوتية شعرية الاشتقاق في تجربة الشاعر أمل دنقل" للدكتور محيي الدين محسب، و "اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات" لبريجيت نرليش وديفيد كلارك ترجمة حافظ إسماعيلي علوي، و"الدراسة الإدراكية للفن واللغة" والأدب لمارك ترينر ترجمة إبراهيم عامر.

النفس أوضح وأميز"[1]، ويرد في معجم آخر بأنّه " الوعي بالموضوع والعلاقات والأحداث عبر الاحساسات مُتضمناً أنشطة مثل التعرف والملاحظة والتمييز وهذه الأنشطة تُمكننا من تنظيم وتفسير المثيرات التي يستقبلها إلى معرفة ذات مغزى". [2]

وممّا سبق نلاحظ أنّ الإدراك المقصود به هنا هو عقلي وحسي معاً؛ لذا لا يمكن أن يكون مقابلاً لمصطلح (cognition) الذي يعني العمليات العقلية. [3]ومن الحجج التي استند إليها عبد الرزاق بنور في عدم اعتماده الإدراك مقابل (cognition) في ترجمته لكتاب "علم الدلالة والعرفانية" لرأي جاكندوف كثرة استعمال الأخير لمصطلح perception بمعنى إدراك فيقول: "إنّ استعمال جاكندوف بكثرة عبارة (perception) التي تترجم بـــ(الإدراك) مرتبطة أو غير مرتبطة بـــ(الحسّي) هو ما جعلنا لا نفكّر في ترجمة (cognition) بـــ(الإدراك)؛ ولكي لا نقع في الخلط بين (perception) و(cognition)، فضّلنا الإبقاء على (العرفانية) لـــ(cognition) و(الإدراك) لـــ(perception )" [4].

ومعلوم أنّ قبولَ المصطلح أو رفضه لا يمكن أن يكون قرارا فرديا؛ فشرعية المصطلح وبقاؤه يُستمدان من الاستعمال وقوته، والتداول واتساعه، أي أنه شأن من شؤون المجتمع اللغوي، وذلك إذَا تكرر المصطلح وشاع استخدامه من لدن الناس والشعوب فهو المقياس الذي يحتم علينا استعماله سواء أكان معربا أم مترجما أم مولدًا، وقد درج مصطلح (المعرفة) في الاستعمال وحقق قدراً كبيراً من الشيوع فلو

(1) المعجم الفلسفي، جميل صليبا :1/53-54.

(2) معجم علم النفس والطب النفسي انجليزي عربي ، جابر عبد الحميد جابر و علاء الدين كفافي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، (د.ط) ،1993م: 2690/6.

(3) يُنظر: علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه، جلال شمس الدين، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية – مصر ، (د.ط) ،2003م :98/1.

(4) علم الدلالة والعرفانية، راي جاكندوف ، ترجمة وتقديم: عبد الرزاق بنور، دار سيناترا – المركز الوطني للترجمة، تونس، (د.ط) ،2010م : 24.

قمنا بجولة سريعة في بيوغرافيا [1] الكتب لوجدنا أنّ نسبة الكتب اللغوية التي عُنيت بالمعرفة أكثر من عناية الكتب بالمقابلات الأخرى.

وهذا ما يبرر الإبقاء على مصطلح (المعرفة)؛ فالمصطلحات مفاتيح العلوم ومشكلة تضاربها وعدم توحيدها لها أخطار كثيرة منها تشتت القارئ أو الباحث وإرباكه في واستيعاب المفاهيم المُستجدة وفهمها وهذا قد يؤدي به إلى الوقوع في التناقض والخطأ في كثير من الأحيان.

وبما أنّ المعرفة الإنسانية تراكمية تُكتسب وتنمى بمرور الزمن، وما دامت التداولية بصفة عامّة هي المعرفة الشاملة بالآخر، أو المعرفة العميقة بمكونات عملية التخاطب [2]؛ فهي وسيط بين العالم الحقيقي أو الفيزيائي وعالم اللغة، اللغة التي تعمل على تجسيد المعرفة بالعالم المحيط ، واللغة دائما تفهم على أنّها نشاط

(1 ) منها :"اللسانيات وأسسها المعرفية" للدكتور عبد السلام المسدي، و" كتاب اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي الأسس المعرفية والديداكتيكية" تأليف علي آيت أوشان، لعبد الإله سليم كتاب بعنوان " بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة معرفية "، وكذلك كتاب " اللغة والمعرفية بعض مظاهر التفاعل المعرفي بين اللسانيات وعلم النفس " ترجمة وتحقيق: مصطفى بوعناني – بنعيسى زغبوش ، و" الدلالة المعرفية ومشروع بناء هندسة المعنى" لمؤلفه د. عبد الكبير الحسني، ولدكتور عبد السلام عشير مؤلف مهم حمل عنوان المعرفية هو "عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج". ويكاد يكون عدد البحوث المعنونة بالمعرفة اضعاف عدد الكتب التي اختارته اسماُ منها بحوث ذهبية حمو الحاج " مقدمة في اللسانيات المعرفية" و" مدخل إلى التداولية المعرفية " ، و " الإدراك بين نظرية المعرفة وعلم اللسانيات المعرفية" لمؤلفه جواد سيحي، وترجمة الدكتور محمد الملاخ بحث لجون تايلور تحت عنوان " اللسانيات المعرفية واللسانيات المستقلة"، وبحث آخر تحت عنوان "اللسانيات المعرفية: الإيديولوجيا والتحليل النقدي للخطاب" لريني ديرفن، فرانك بولزنهاجن، هانز جورج وولف، و "الإرث الغرايسي والتّداوليّة المعرفيّة من خلال كتاب "التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل" لجاك موشلار وآن ربول" لأحلام بن عمرة ، و"النقد الأدبي المعرفي المعاصر الأصول، المرجعيات، المفهوم مقدمة نظرية" لدكتورة وحيدة صاحب حسن. وغيرها كثير من المؤلفات التي اختارت المعرفة مقابلا لمفهوم Cognition والتي لا يسع المقام لذكرها جميعها

(2) يُنظر: عندما نتواصل نغير : 18.

ذهني للفرد يتواصل مع نظرائه لسانيا عبر سلسلة من عمليات الفهم والإنتاج منذ القدم ومسألة المعرفة الضمنية للغة التي يتمتع بها كلّ متكلم هي محل بحث ودراسة؛ فقد كانت مثارا للعناية بالنسبة لاختصاصي علم نفس اللغة في التحقق من أنّ الناس الذين يطبقون القواعد بمهارة تدعو إلى الدهشة، هم أنفسهم عاجزون كليًّا في الغالب عن إعطاء تعريف واضح لهذه القواعد.

وبعد ازدهار علم النفس المعرفي، وتزايد العناية بكيفية اشتغال الذهن البشري عند تحصيل المعرفة ومعالجتها بوصفها جزءا من التفاعل العام مع المحيط ومع نظرائه، بات يتخذ علم النفس، بشكل نهائي موقفا ذا أهمية في تحليل اللغة. وبالفعل فقد عبرت العمليات الذهنية الكامنة في التواصل إلى مستوى أول في دراسات التداولية[1]، ومن ثم توجت بظهور التداولية المعرفية ( pragmatics Cognitive): التي تمثل حقلاً علميًا جديدًا، نتج عن تداخل متكامل ومنسجم بين مجموعة من المناهج والنظريات والعلوم أبرزها علم النفس المعرفي؛ فتقوم على تفسير العمليات الذهنية في التواصل؛ بتوظيف مجموعة من آليات العلوم النظرية العلمية ومفاهيمها وطرائقها كالمنطق والمعلوماتية والعلوم الاجتماعية أو الإنسانية كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم السياسة وغيرها، وهي تستمد أطروحاتها من التحولات المعرفية المرتبطة بشكل رئيس بالتطورات التي أحدثتها هذه العلوم.[2]

وتنظر آن روبول إلى الاتجاه المعرفي بوصفه "عامل تطوير للتداولية؛ إذ احتكّت به فوسّع مجالها وأثمر اللقاء بينهما نتائج أفادت التداولية توسيعا لنطاقها وإخراجًا لها من دائرة حرج العلم غير المعترف به، أو الذي ظل يقتات على

(1) مدخل إلى دراسة التداولية مبدأ التعاون ونظرية الملاءمة والتأويل، فرانثيسكويوس راموس، ترجمة: يحيى حمداي، دار نيبور للطباعة والنشر– العراق، ط: 1، 2014م: 61.

(2) ينظر: عندما نتواصل نغير: 15 ، و التداولية العرفانية قبل التداولية مدخل إلى التأسيس العرفاني، د. صلاح الدّين يحي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد: 9، العدد: 4، سنة 2020م: 57.

موضوعات لم تستسغ اللسانيات وفروعُها التقليدية صوتياتٍ ونحوًا ودلالة الاشتغال عليها"[1]

ويمكن تحديد مجال عناية التداولية المعرفية "بأنه يتمثل في العلاقة المتبادلة بين التداولية والإدراك، ولمّا كانت التداولية مرتبطة بـــ(المعنى في السّياق)، فإن ذلك يستتبع أن تركز التداولية المعرفية على الجوانب المعرفية لفهم المعنى في السّياق، وهذا يتصل بإنتاج اللغة وفهمها، ويتعلق على وجه الخصوص بأحد الأسئلة الرئيسة التي عمل التداوليّون على الإجابة عنها: ما القدرات والعمليات المعرفية اللازمة لنكون قادرين على بلوغ (ما يمكن قوله أو يجب أن يقال) في سبيل بلوغ (المقصود)."[2]

كما أنّها تُعنى بالكشف عن كيفيّة اشتغال الذّهن في العملية التأويلية، وتحاول الإجابة عن أسئلة من قبيل كيف يحدث التأويل الذّهني للقولة؟ وما القوانين الخطابية التي توضح استعمال النّظام اللّغوي؟ ما العمليات الاستدلالية التي يجريها المتلقي للوصول إلى مقصد المتكلم؟

وتقع التداولية المعرفية ضمن التداولية الجذرية، بحسب آن وجاك[3]، وتُصنف التداولية إلى صنفين هما: التداولية المدمجة[1]، والتداولية الجذرية، وأمّا الأخيرة

(1 ) المنظوران العرفاني والتداولي آفاق التهجين، د. صابر الحباشة، بحث ضمن كتاب (دراسات في اللسانيات العرفانية: الذهن واللغة والواقع، د. عبد الرحمن محمد طعمـــة، و د. الحبيب المقدميني، و د. صـــــابر الحباشة، و د. عفاف موقو، و د. عمر بن دحمان، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، المملكة العربية السعودية – الرياض، ط:1، 1441هـــ-2019م): 150.

(2) المصدر نفسه : 155.

(3) يُنظر: القاموس الموسوعي للتداولية ، موشلار وآن ريبول ، تر: مجموعة من الاساتذة والباحثين ، بإشراف: عز الدين المجدوب ، مراجعة: خالد ميلاد ، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس ، ط: 2 ،2010م : 44.

فيندرج فيها نوعان من النظريات، وهي النظريات الخطية ذات المسلك الشكلاني وتمثله أعمال غازدا، والنظريات المعرفية: التي تمثلها أعمال غرايس وكل من سبيربر وولسون.

ويرى آن وجاك في كتابهما "التداولية اليوم" أنّ دايات ظهور التداولية تعود إلى بدايات ظهور العلوم المعرفية؛ ففي عام ( 1955م) ألقى جون أوستن (Austin.J) [2] محاضرات في جامعة (هارفارد) الأمريكية اشتهرت باسم (محاضرات وليم جيمس)، ثم نشرت عام (1962م) بعد وفاة (أوستن) من أحد طلابه على هيئة كتاب بعنوان " كيف ننجز الأشياء بالكلام – How to do things with word"، الذي أسس به (نظرية أفعال الكلام) وقد شكلت محور التداولية في درجتها الثالثة واعتنت في لب فلسفتها الدلالية بالمضامين والمقاصد التواصلية[3]، وترى هذه النظرية أن الفعل هو النشاط الذي ننجزه بتلفظنا جملة تامة الأداء ننطلق منها دراسة العلامات اللسانية والمعنى الناتج عنها.

وعلى الرغم من أنّ نظرية أفعال الكلام زامنت نشأة العلوم المعرفية إلاّ أن التداولية المنبثقة منها لا تبدو نظرية معرفية؛ فهي أقرب إلى السلوكية في بعض الوجوه منها إلى العلوم المعرفية، وما يفصلها عن السلوكية أنها تعترف بوجود

---

(1 ) التداولية المدمجة: انتشر مصطلح التداولية المدمجة (في الدلالة) في نطاق التحاليل التداولية المنجزة حول أعمال (ج.ك انسكمبر وأ. دكرو)، وتشمل أساسا نظريتهما في الحجاج، وتهدف أعمالهما المتعلقة بنظرية الحجاج إلى الدفاع عن الأطروحتين الاتيتين:

تقوم الأطروحة الأولى على الدفاع عن تصور لا وصفي للغة مفاده أن الأقوال لا تبلغ حالات أشياء في الكون (وظيفتها التمثيلية) بل تبلغ أعمالا لغوية. وأما الأطروحة الثانية للتداولية المدمجة فهي أطروحة الإحالة الانعكاسية (الإحالة الذاتية) للمعنى وهو ما يمكن تلخيصه في الصيغة الآتية (إنّ معنى قول ما هو صورة من عملية إلقائه). وتذهب النظريات الخطية إلى أن ايَّ نظام من العلامات يقوم على مكونات هي التركيب وموضوع دراسة العلاقات بين العلامات والدلالة وتعني بالعلاقات بين العلامات والمسميات والتداولية (يُنظر: المصدر نفسه: 35-40.)

(2) ينظر: ملحق الأعلام الأجنبية.

(3) ينظر: القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة ، أوشن دلال، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،العدد: 6، 2010م : 63.

الحالات الذهنية التي تمثل في (نظرية أفعال الكلام) المقاصد المعبر عنها من المتكلم، ويكون الوصول إلى هذه المقاصد بملاحظات القولات أو الجمل التي تعبر عنها بصفة تواضعية (أفعال الكلام) أي ملاحظة السلوك اللغوي للأفراد وهذا ما سماه سيرل مبدأ قابلية الإبانة، ومفاده أن كل حالة ذهنية (فكرة أو اعتقاد أو رغبة ... إلخ) تقبل الإبانة عنها بصراحة وحرفية بوساطة جملة ولا توجد حالة ذهنية لا يمكن أن تكون موضوعا تعبيرا صريحا. وهذا يجعل الحالات الذهنية (المقاصد) شفافة وظاهرة على مستوى الجملة أو القول؛ فيجعل النظرية أقرب إلى منظور السلوكية.[1]

وأمّا الفيلسوف بول غرايس (Paul Grice) [2] فيُعد واضع الأسس الأولية للتداولية المعرفية؛ إذ عُدّت الشروح التي قدمها لنظرية المحادثة مقدمة مهمة نحو انفتاح التداولية على العلوم المعرفية، وقد أثار قضايا أهملها منظرو التداولية قبله، فقد ميز غرايس " بين ضروب من المعاني عبر ثنائيتين: "المنطوق، والمستلزم، والمعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي، حيث يعد الزوج الأول أساس نظريته في الاستلزام التخاطبي، والثاني أساس نظريته في المعنى بوجه عام." [3]

وقد كشف عن المفاهيم الأساسية لمبدأ التعاون والاستلزام التخاطبي (الحواري) والاستدلال على المقاصد في محاضرات (وليم جيمس) التي ألقاها بدوره عام (1967م) ونشر جزءا منها عام (1975م) في أشهر مقالاته "المنطق والمحادثة Logic and Conversation " ومقالات وبحوث لاحقة؛ إذ تحدث غرايس عن (مبدأ التعاون) الذي ينص على " لتكن مساهمتك في المحادثة موافقة لما يتطلبه منك – في المرحلة التي تجري فيها– ما ارتضاه من أهداف أو وجهة

(1) يُنظر: التّداوليّة اليوم: 43، و مدخل إلى التّداولية المعرفية، ذهبية حمو الحاج ، مجلة الكوفة ،العدد 9، سنة 2014م : 115.

(2) ينظر: ملحق الأعلام الأجنبية.

(3) في التداوليات الاستدلالية : 40.

للمحاورة التي اشتركت فيها "[1] أي أن عملية التواصل الناجحة لا تكون إلاّ ثمرة للتعاون المبذول من جانب المتحاورين؛ إذ يتعرف كل مشارك فيها على الهدف المشترك للمحاورة، أو جملة الأهداف، أو أن يقرّ على الأقل بما ارتضاه بصفة مشتركة المتحاورين جميعهم. ولمبدأ التعاون عند غرايس أربع مسلمات معيارية يتبعها المتكلم، تعين كذلك المتلقي في الوصول إلى قصد المتكلم. وقد ينتهك المتكلم هذه المسلمات، ومع هذا يبقى مخلصا لمبدأ التعاون بحرصه على توصيل مقصده للمتلقي، وهذا الانتهاك يولد ما يسمى (الاستلزام التخاطبي conversational implicate) وهي نظرية تدرس الاستدلالات التي يتبعها المستمع لتأويل القولة والوصول إلى مقاصد المتكلم.

إن نظرية الملاءمة تمثل التجسـيد الفعلي للمنظور المعرفي في دراسة عملية التواصل وقمته في التداولية حيث "اتخذت من الأفكار والتمثيلات التي تحدث في أذهان الناس عندما يتواصلون، قاعدة لتفسير التواصل" [2] مما جعلها تندرج ضمن العلوم المعرفية (cognitivesSciences) فهي تحاول الإجابة عن تساؤلات هي من ضمن عناية علم النفس المعرفي، وقد حاول سبيربر وولسون إيجاد وصف جديد لعملية التواصل وتفسيرها بالتأليف بين أشهر أنموذج في تفسير التواصل هو أنموذج الشفرة الذي يعتمد رؤية ترميزية للغة، والأنموذج الاستدلالي. ومن ثم فقد قام سبيربر وولسون بإخراج التداولية من دائرة اللسانيات التي تُختزل في (أصوات، تركيب، دلالة) ليجعلاها شعبة مستقلة؛ لأن مجال الحركة الذي تتمتع به يتجاوز الإطار الضيق الذي خصصه لها من رأى

(1) المنطق والمحادثة، بول غرايس، ترجمة محمد الشيباني و سيف الدين دغفوش، بحث ضمن كتاب(إطلالات على النّظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين- مختارات معربة ، إشراف وتنسيق كعز الدّين مجدوب، المجمع التونسي للعلوم والادب والفنون "بيت الحكمة"، تونس – قرطاج، (د.ت)، 2012م) :618/2.

(2) نظرية الملاءمة نظرية ثورية في التواصل المقولات والامتدادات المفهومة، د. عائشة هديم، مجلة الخطاب، المجلد: 13، العدد: 2، سنة 2018م: 57.

فيها جزءًا من اللسانيات[1]؛ لذا ظهور التداولية المعرفية أدى إلى حدوث اتجاه مختلف للتداولية إلى حدّ ما إذ صارت (التداولية) هي[2]:

1. قدرةٌ للعقل؛ إذ صارت التداولية ضربا من ضروب أنظمة معالجة المعلومات، فهي نظامٌ لتفسير ظاهرة السلوك التواصلي البشري. فلم تعد التداولية مجرّد ملحق بعلم دلالة اللغة الطبيعية. وضمن هذا الإطار المعرفي ــ العلمي، يكون هذا النوع من النظريات التداولية مسؤولا عن توفير مصادر للأدلّة.
2. هي نظامٌ لفهم السلوك التواصلي، أي التعرف إلى ما يحاول منتج السلوك الإظهاري التواصل في شأنه، ولكنها تنصرف إلى فهم التواصل اللغوي.

المقصدية :

اعتنى العرب بالمعنى في كلّ العلوم العربية تقريبا، وفي حديثهم عن المعنى ربطوا المعنى بمفهوم آخر يوازيه بالأهمية ألا وهو القصد أو المقصدية؛ إذ يسهم الأخير في تشكيل المعنى في القــولات، وفي تأويل المتلقي لها؛ إذ يتوقف عليه التأويل، ولا سيما حين نعني أكثر ممّا نقول.

"وتومئ دلالة الجذر : (ق ، ص ، د) في المعجمات اللغوية بمعنى الدلالة على المعنى وتأديته"[3] وهي ترد عند القدامى مرادفة للمعنى فيقول ابن منظور: "لا يقال عنيت بحاجتك إلاّ على معنى قصدتها، من قولك عنيت الشيء أعنيه إذَا كنت قاصدا له"[4] ، ويأتي (القصد) لغويا بمعانٍ عدة منها: " –الاعتماد، والأم، وإتيان الشيء، والتوجه.

– استقامة الطريق.

(1) يُنظر: مدخل إلى التّداولية المعرفية : 116.

(2) ينظر: المنظوران العرفاني والتداولي : 152.

(3) المقصدية التداولية في سورة الزمر، م. شةيدا خضر كريم ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، ملحق العدد: 58، 2019 م: 24.

(4) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هــ)، دار صادر –بيروت، ط:3، 1414 هــ ، مادة (عنا): 15/ 105.

-العدل، والتوسط، وعدم الإفراط.

- الكسر في أي وجه كان."[1]

فلم يكن القداماء غافلين عن أهمية القصد؛ بل كان بؤرة لعناية العرب به، وأول العلوم عناية بالمقصد هو النحو العربي ، إذ "أدرك النحويونَ العربُ في تقعيدهم الأحكام النُحويّة العلاقة القائمة بين ما نطقت به العرب وما أرادته مِنَ العلل والأغراض والمقاصدِ المنسوبة إليها، فقَصد المُتكلّم يؤثر في ضبط الوظائفِ الإعرابيِّة وتحديدها على الوجهِ الذي ينبغي أَنْ تكون له، وهو قرينة تساعد في تحديد الوظيفة النحويّةِ للكلمةٍ وبيان دورها في التّحليلِ النحوي للجملة" [2]، فلم تكن النصوص عندهم مبتورة عن أصحابها بل إنّهم اعتنوا بالقائل ونيته. فاعتمدوا على قصدِ المُتكلم وغرضه من الكلام بوصفه قرينة تداولية تسهم في توجيه المسائل النحوية، لكنه لم يستقر مصطلحاً متداولاً عندهم[3]، ولو ذهبنا إلى سيبويه لوجدناه لا يقدم وصفا نحويا جامدا خاليا من الدلالة بل إنّه يصف العلاقات التي تربط الجمل بعضها ببعض للوصول إلى المعنى الكلي الذي يريد المتكلم ايصاله؛ يقول الشاطبي (ت:790هـ) في ذلك :" إنّ سيبويه وإن تكلم في النحو، فقد نبه في كلامه على مقاصد العرب، وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أنّ الفاعل مرفوع والمفعول منصوب ونحو ذلك"[4] فتطرق سيبويه إلى مسائل تداولية

(1) مقاصد الشريعة الإسلامية ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر ، (د.ط)، 1425 هـ - 2004 م:2/ 120، و ينظر: لسان العرب، مادة (قصد): 3/ 354-355، وينظر : معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر عام النشر، (د.ط)، 1399هـ -1979م ، مادة(قصد):5/ 95

(2) (القصدية وأثرها في توجيه الأحكام النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، اطروحة دكتوراه : حيدر جاسم جابر الدنيناوي ، بإشراف: فاخر جبر مطر ، الجامعة المستنصرية ،2015م: 18.

(3 ) المصدر نفسه :19

(4) الموافقات، تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان ، ط: 1 ، 1417هـ/ 1997م:5/54.

وبلاغية مهمة فضلا عن الدراسة النحوية.

ومن المسائل التي تبين الملامح التداولية عند القدماء ولا سيما فيما يتعلق بقصد المتكلم وأغراضه التواصلية مسألة وظيفة اللغة، فابن جنّي (ت: 392هـ) عرّف اللغة وحصر وظيفتها الأساسية في التبليغ والتعبير عن المقاصد، إذ يقول:" فإنّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"[1]، فاللغة أصوات وملفوظات مجردة، ولكن إرادة المتكلم في التعبير عن مقاصده دفعته إلى أن يسبك هذه الملفوظات وينتقي منها ما هو أبين لمقصده وأنسب لمراده، فلا يتلفظ إلاّ بما يحقق له ذلك[2]. وفي الاتجاه نفسه يذهب ابن سنان الخفاجي (ت:166هـ): إلى "أن الكلام غير مقصود في نفسه، وإنّما احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني التي في نفوسهم"[3].

فابن سنان الخفاجي يرى أنّه قد احتيج إلى اللغة؛ لأجل التعبير عن المقاصد؛ ولكي يفهم بعضنا بعضا؛ فليس الكلام هو المقصود لذاته وإنَّما يقصد المتكلم الابانة عن معان يقصدها دون غيرها. وهذا هو الاتجاه السائد عند القدماء بأن اللغة هي وعاء للفكر وأنّ وظيفتها تتمثل في التعبير عن الفكر البشري سواء أكان متعلقا بأمور عقلية محضة أم بالعواطف والأحاسيس والرغبات الإنسانية[4]. وجعل الجرجاني المقاصد ظاهرة وخفية وأطلق عليها معنى المعنى. وهو يؤكد على أهمية

(1) الخصائص، لابي الفتح عثمان ابن جني (ت: 392هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، ط: 2، 1952م: 33/1.

(2) ينظر: (القصدية في الموروث اللساني العربي (دراسة في الأسس النظرية والإجرائية للبلاغة العربية) أطروحة دكتوراه ، دلال وشن، بإشراف: محمد خان، جامعة محمد خيضر ــ بسكرة، 2016م: 176.

(3) سر الفصاحة، للأمير أبى محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت 466هـ)، صححه وعلق عليه: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده – مصر، ط: 1، 1372هـ–1952م: 259.

(4) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1978م: 170.

الكشف عن مقصد المتكلّم مِنْ أجلِ الوصولِ إلى فهم صحيح فيقول: "وقد أجمع العقلاء على أنّ العلم بمقاصد الناس في محاوراتهم علم ضرورة"[1]؛ فالغرض من الكلام عنده هو معرفة المقصود فيقول: "إنّ الناس إنّما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده"[2].

وقاعدة (الأمور بمقاصدها) هي من القواعدِ الكبرى التي يبني عليها الفقهاء كثيرا من الأحكام الشرعية فأعمال الإنسان وتصرفاته القولية والفعلية تخضع أحكامها الشرعية التي تترتب عليها لمقصده الذي يقصده منها وليس لظاهر العمل أو القولِ أي: إن قصد الإنسان ونيته لهما تأثير كبير في الحكم الشرعي في بعض تصرفاته.[3] والكلام في المقصدية عند القدماء كلام يطول إذ كان مثار عناية كلّ العلوم العربية تقريبا؛ فالقصد هو المحرك الأساسي للخطاب ولا يتكلم المتكلم مع غيره إلاّ إذا كان لكلامه قصد. والعرب كانوا الأسبق في إدراك أهمية القصد من الدراسات اللسانية الحديثة التي هي الأخرى اعتنت بالقصد من باب عنايتها بالمعاني، إذ شكلت المعاني اللغوية بمختلف القضايا أساس تحليلات لكثير من فلاسفة القرن العشرين؛ والواحد والعشرين. فنجد أنّ غرايس قد لقب بفيلسوف المعنى؛ لأنّه يعد أكثر فيلسوف من فلاسفة العصر كرس جهده الفلسفي لمفهوم المعنى يقول : "لقد سبب لي كثيرا من القلق وأحدث أيضًا توقدا أكثر من أي جانب آخر"[4] ، وقد اعتنى غرايس عناية فائقة بالقصد ممّا دفعه إلى تأسيس نظرية في المقاصد. وقد أدخل مفهوم المقصدية في تحليل العبارات اللغوية وفهم كلام المتكلم على يد فلاسفة أمثال (فتجنشتاين المتأخر، أوستن، غرايس، ستراسون، سيرل).

(أ) المقصدية عند جون أوستن:

---

(1) دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانيّ (ت: 471هـ)، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني-جدة، ط:3، 1413هـ -1992م: 530.

(2) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

(3) القصدية وأثرها في توجيه الأحكام النحوية: 44.

(4) نقلا عن: نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس ، صلاح اسماعيل، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت)، 2007م: 8.

**برزت العناية بالمقصدية منذ أن أسس جون أوستن نظريته في أفعال الكلام العامة "في نظرية أفعال اللغة المستندة بالأساس إلى مفهومي القصد والمواضعة"[1]، التي تتضمن إنجاز ثلاثة وجوه لأفعال الكلام ما يهمنا في هذا الموضع هو (قوة فعل الكلام) أي: قصد المتكلم الذي يرمي إليه بقوله شيئا ما[2] ، وقد أولاه أوستن نفسه عناية خاصة؛ إذ إنّه أوضح أن ما ننجزه ونحققه هو هذا الفعل، وهو مرتبط في ثبوت نجاعته بـــ(لازم فعل الكلام) أي الأثر المتحقق عن قصد المتكلم؛ "لأنّه لو لم تحصل بعض الآثار تامة الإنجاز لم تكن قوة فعل الكلام مناسبة للاعتبار ومقبولة، ومن ثم لو لم يكن ذلك لم يقع الفعل على وجهه [...] فإذَا لم يسمع مخاطبي ما Hخبرته به أو إنّه لم يحمل كلامي محمل الجد وعلى وجهه لم يصح أن نقول إنّي قد حذرته. وإذًا لا بد أن يحدث أثر وتأثير ما على المخاطب حتى تتحقق قوة فعل الكلام، وتكون قيمة العبارة به واصلة إلى تأدية المقصود. ولكن كيف يبلغ هذا الأثر على أحسن وجه؟ وكيف يمكن أن نقيس هذا الأثر، وبوجه عام يكافئ قياس الأثر حمل الآخر (المخاطب) على تحصيل الدلالة وفهم قوة العبارة"[3] ؛ ففهم الدلالة يتوقف على فهم تركيبية القولة، وفهم قصد قائلها منها. وقد عدّ أوستن المقصد شرطًا أساسيًا لنجاح (فعل الكلام) بشكل تام، فلا بد للمشاركين في عملية التواصل الكلامي من المقصدية الواضحة التي تؤدي إلى دفع (لازم فعل الكلام) إلى حيز التنفيذ، والإخلال بشرط القصد يعد إنجازا للفعل ولكن بطريقة غير مرضية[4].**

**(ب) المقصدية عند سيرل:**

---

(1) تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، لآن روبول وجاك موشلار، ترجمة وتعليق: حسن بوتكلاي، دار كنوز المعرفة العلمية –عمان، ط:1، 2020م:72 .

(2) ينظر: نظرية افعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، أوستن، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق،1991م: 121.

(3) المصدر نفسه : 135.

(4) البعد القصدي لتداولية أفعال الكلام في الخطاب القرآني ، شريفة أحمد حسن القرني و عائشة صالح أحمد بابصيل، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 1، المجلد: 3–، 2019م : 106.

يُعد جون سيرل "من أبرز الفلاسفة في هذا العصر، وفي العصور التي سبقته انشغالاً بالمقصدية، تفكيرًا، واحتجاجًا لآرائه المخالفة للتقاليد الفلسفية السابقة، كما يُعد من أبرز الفلاسفة الذين منحوا المقصدية بعدًا تداوليًا"[1].

وبحديثه عن المعنى اعتنى بالمقصدية فتصور المعنى من منظور نفسي أكثر من كونه يتعلق بدلالة التراكيب الحرفية، والمعنى عنده شغل موضعًا محوريًا من فلسفته التي تأسست على فكرة القصد العقلي فمحور عناية فلسفته في مجال العقل، فذهب إلى أنّ المقصدية هي مفتاح فهم المعنى، وهي تمثل فكر المتكلم الذي يتحول إلى كلمات وجمل وعلامات ورموز لا تنضوي على مجرد معنى لغوي، بل لا بد أن تنضوي كذلك على معنى يقصده المتكلم[2]، وقد فرق بين مفهومي القصد والمقصدية، فهو لا يراهما يحملان المعنى نفسه ، وهما عنده :

القصد: هو ما كان وراءه وعي، وهو شرط أساسي وخاص بعملية التواصل اللساني، صوت حفيف الشجر وبقعة اللون على الورق لا يمكن أن تعدّ نموذجًا للأعمال اللغوية؛ لأنّهما لم ينجما عن سلوك لغوي قصدي.[3] والمقصدية: هي التي تجمع بين الواعي وغير الواعي معًا، "وهي خاصية لكثير من الحالات والحوادث العقلية التي تتجه عن طريقها إلى الأشياء أو الأمور التي تدور حولها أو تتعلق بها، فتضم ظواهر عقلية كثيرة، كالحبّ والخوف والأمل والرغبة وغيرها"[4] ، ومن ثم قسمت المقصدية إلى قسمين: لغوية وغير لغوية، والمقصدية غير اللغوية هي التي

(1) القصدية مبحث فلسفي تداولي: من فلسفة العقل إلى أفعال الكلام. "جون سيرل نموذجا"، هشام صويلح، مجلة تاريخ العلوم، العدد :8، المجلد 2، 2017م :207.

(2) ينظر: بناء الواقع الاجتماعي من الطبيعة إلى الثقافة، جون سيرل، ترجمة وتقديم حسنة عبد السميع ، المركز القومي للترجمة، ط: 1، 2012م: 11 مقدمة المترجم ، و العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل ، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف– الجزائر والمركز الثقافي العربي– المغرب والدار العربية للعلوم، ط: 1، 2006م: 207–208.

(3) البعد القصدي لتداولية أفعال الكلام: 106.

(4) المصدر نفسه، الموضع نفسه، وينظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط:3، 1992م: 165.

توضح المشاعر والأحاسيس مثل بكاء الأطفال في حالة الجوع أو سلوكيات بعض الحيوانات الدالة على حالات معينة التي تستمد قصديتها من العقل، أمّا المقصدية اللغوية فهي المتحكمة بتحديد أشكال الأفعال الكلامية ومعانيها وبناء على ذلك تكون قصدية العقل أصلية وقصدية اللغة مستمدة أو مشتقة[1]، وقد فرق سيرل بين مقصديتين لغويتين هما: مقصدية الدلالة ومقصدية اللفظ مبينا أنّه لا تستطيع أن تفهم الأدبيات المعاصرة عن القصدية، إن لم تدرك الفرق بين المقصدية الدلالية ومقصدية اللفظ، "فالمقصدية الدلالية، هي تلك الصفة في العقل التي تمكنه من التوجه نحو، أو حول الأشياء، أو الحالات الواقعية في العالم، باستقلال عنها. وأمّا المقصدية اللفظية، فهي صفة تخص جملا وقضايا موجودات لغوية"[2] أخرى معينة هذا يعني أن المقصدية الدلالية تخص المعنى غير الحرفي للغة، أو (المعنى الذي يقصده المتكلم)، والمقصدية اللفظية تخص المحتوى القضوي للعبارات في اللغة، أو (معنى الكلمة أو الجملة والمخطط الآتي يوضح تقسيمات المقصدية عند سيرل:

(ت) المقصدية عند غرايس:

حصر غرايس مقاصد المتكلم للتأثير في المتلقي بناء على ميثاق بينهما فاقترح مبدأ التعاون لضبط نجاح عملية التفاعل الخطابي بين طرفي الخطاب وحديثه

(1) ينظر: القصدية مبحث فلسفي تداولي: 203.

(2) العقل مدخل موجز، جون سيرل، ترجمة ميشيل متياس، عالم المعرفة – الكويت، ط: 1، 2007م: 142.

عن القصدية كان في أثناء دراسته المعنى فهو يصف المعنى بمعايير مقاصد المتكلم فميز بين المعنى الطبيعي غير المرتبط بالقصد، والمعنى غير الطبيعي المرتبط بالقصد فقدم مقاربته الاستدلالية للمعنى عبر مفهوم محوري هو (القصد)، المُتمظهر في معنى المتكلم واشتهر بـــ(النظرية القصدية) في توضيح الجانب الاتصالي في المعنى غير الطبيعي وتقتضي هذه النظرية تأسيس الدلالة اللغوية على مقاصد المتكلمين، وهي تتخذ الصورة الآتية : لا يفيد قول القائل شيئا إلاّ إذَا قصد أمورا ثلاثة هي:

1. أن يولّد المتكلم استجابة معينة لدى المتلقي.
2. أن يتعرّف المتلقي على هذا القصد.
3. أن يكون انتهاض المتلقي بالجواب مستندا إلى تعرّفه على قصد المتكلم.[1]

إنّ تعدد المقاصد السابقة وتداخل مستوياتها، جعل هذه النظرية مثارًا للجدل وموضعًا للتصويبات من عدد من الفلاسفة منهم (ستروسن، جون سيرل، ستيفن شيفر وغيرهم) ، وقد استقصى د. صلاح إسماعيل الانتقادات والتصويبات كلّها التي وجهت إلى هذه النظرية في كتابه (النظرية القصدية في المعنى عند جرايس).

(ث) المقصدية عند دان سيبربر وديدري ولسون:

يرى كلّ من سبيربر وولسون أن المقصدية عند غرايس هي "محاولة لرد الاعتبار لمنظور بديهي للتواصل ولتوضيحه بمعايير نظرية مقبولة "[2]؛ لذا فانّهما "يجعلان مفهوم القصد قطب مقاربتهما"[3] ولكن بالنسبة لهما إنّ مجرد تعرّف المتلقي على قصد المتكلم كافٍ لنجاح المتكلم في تبليغ ما كان يسعى إلى تبليغه، بصرف

(1) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي ــ الدار البيضاء، ط:2، 2000م: 45 ، والنظرية القصدية في المعنى عند جرايس ، د. صلاح إسماعيل، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية: 25، 2005م:49.

(2) نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والادراك، دان سبيربر وديدري ولسون، ترجمة هشام إبراهيم عبد الله خليفة مراجعة: فراس عواد معروف، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: 1، 2016م: 56.

(3) تداولية الخطاب:72 .

النظر عن تحقيق القصدين الآخرين[1]، فمثلا إذَا ما قصد المتكلم أن يجعل المتلقي مسرورًا، وصار المتلقي واعيًا لهذا القصد، فإنّ مجرد الوعي وحده بذلك سيكون كافيًا أن يجعله مسرورًا. ولاسيما أنّ التواصل تم دون المقصد الأول في (النظرية القصدية) عند غرايس (أي مقصد المتكلم في حمل المتلقي على معرفة معلومة معينة ثم الاستجابة لها)، وقد أطلق عليه سبيربر وولسون القصد الإخباري؛ إذ إنّه لا يعد مقصدًا تواصليًا من وجهة نظرهما، وبما أن المقصد الثالث عند غرايس لا يمكن تحقيقه ما لم يتحقق الأول فهو الآخر ليس ضروريًا للتواصل.

وأمّا القصد التواصلي فهو (يمثل المقصد الثاني عند غرايس: أي ما يقصد إليه المتكلم من حمل المتلقي على معرفة مقصده الإخباري)[2]، و"نجد أن هناك علاقة جوهرية تربط القصدين الإخباري والتواصلي بالمعنى المقصود للمتكلم؛ فليس هذا المعنى إلاّ مضمون القصد الإخباري الذي يشكل بدوره موضوعا للقصد التواصلي"[3].

إنّ سبيربر وولسون جعلا المقصدين كليهما معايير وصفية لمفهوم آخر هو التواصل الإظهاري الاستدلالي: وهو أن تجعل قصدك بإظهار طبقة من المعلومات الأساسية قصدًا ظاهرًا للمستمع[4]. وهذا التواصل عندهما لا يقتصر على التواصل اللغوي فقط فهو شامل ؛ إذ يحاول وصف أشكال التواصل البشري عموما. وهو من وجهة نظرهما يكون بقيام المتكلم بتزويد المتلقي بقرينة أو دليل على أفكاره، وهذه القرينة يسميانها : (المنبه أو الحافز).

(1) مدخل إلى دراسة التداولية مبدأ التعاون ونظرية الملاءمة والتأويل، فرانثيسكويوس راموس، ترجمة: يحيى حمداي، دار نيبور للطباعة والنشر–العراق، ط:1، 2014م: 150.

(2) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، وجاك موشلر، تر: سيف الدّين دغفوس، محمّد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربيّة للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان–بيروت، ط1، 2003 م: 79.

(3) التواصل والمعنى ، دان سبيربر ، ترجمة : عبد العزيز بنعيش، 2016م، انفاس انترنت ، https://www.anfasse.org

(4) ينظر: نظرية الصلة أو المناسبة: 106.

والمنبهات قد يكون على نوعين: منبهات مباشرة (غير اللغوية)، ومنبهات غير مباشرة (اللغوية)؛ إذ تتعلق الأولى بالقصد الذي يظهر ظهورًا صريحًا في العملية التواصلية التفاعلية كـــ(إشارات اليد، إيماءات الوجه، أو تحريك الأكتاف، أو تعبيرات صوتية خاصة)، فـــ(النحنحة) مثلًا تُعد دليلًا مباشرًا على نزلة البرد إذَا تقصدها شخص ما ليجعل الطرف الآخر يفهم بأنّه يعاني من نزلة برد، بينما تتعلق المنبهات غير المباشرة بالظهور الضمني للقصد أو الأنشطة التواصلية التي لا تحظى بالتفاعل في اللحظة التي يتم سريانه فيها. فإذَا علق هذا الشخص المصاب بنزلة البرد، بعد مرور عدة أيام، بأنّه كان مصابًا بنزلة برد، فهو دليل غير مباشر.[1] ممّا يجب الانتباه إليه أنّ المنبهات اللغوية وغير اللغوية "لا تعمل بشكل مستقل بعضها عن بعض، بل تشتغل متضامنة متعاونة بعضها يكمل بعضها الآخر"[2]؛ فالتواصل الشفوي مثلًا متعـــدد القنوات؛ ويحتاج المستمع إلى كلّ من المنبهات اللغوية وغير اللغوية لكي يصل إلى مقصدية المتكلم. كما يحتاج المتكلم إلى تضافر كلّ من اللسان، والتنغيم، والنبر، والحركات، والإيماءات... في توصيل مقصديته للمستمع، وفي ذلك يقول د. إبراهيم أنيس: "أليس الحوار بين المتكلم والسامع مرتبط الأجزاء، يفسر بعضه بعضًا، ويعين بعضه على فهم البعض الآخر؟ وألسنا نستمد الفهم من تجاربنا السابقة حينا، ومن سياق الكـــلام حينا آخر؟ فأين الكلام المستقل بالفهم الذي لا يستعين فيه بكلام سبقه ولا بتجارب ماضية ولا بإشارات الأيدي وتعابير الوجوه في كثير من الأحيان".[3]

ومن المفارقات أنّ الشاعر محمد بن حازم الباهلي كان قد أدرك أهمية المنبهات غير اللغوية للوصول إلى القصد فيقول في قصيدة كتبها بعد دعوة من بشار بن برد وكانت عنده قينتان تغنيان، فكان في المجلس من يعبث بهما ويمد يده إليهما فأنفت له ذلك، فكتب إليه في الغد يقول فيها:

---

(1) ينظر: المصدر نفسه: 54.

(2) التأويل الدلالي ــ التداولي للملفوظات انواع الكفايات المطلوبة في المؤول، ادريس سرحان، بحث ضمن كتاب التداوليات: 144.

(3) من أسرار اللغة، د.ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية –القاهرة، ط:3، 1966م:261.

"إنَّ إخوانَكَ المقيمينَ بالأمـــ ... ـسِ أتَوا للزّنّاءِ لا للغِنَاءِ
أنْتَ أعمَى وللزُّنَاةِ هَنَاتٌ ... مُنكَراتٌ تَخْفَى عَلى البُصراءِ
هَبكَ تَستَمِعُ الحديثَ فما عِلـــ ... ـمُكَ فِيهِ بالغَمزِ وَالأيمَاءِ
والإشَارَات بِالعيونِ وبالأيـــ ... ـدي وَأَخْذ المِيعادِ للالتقاء"[1]

ينبه الشاعر بشار بن برد الى أنّ أصدقاءه لم يقصدوا الغناء والطرب من مجيئهم وإن غاب ذلك عن بشار بن برد فله العذر إذ إنّه اعمى لا يتلقى من المنبهات إلاّ اللغوية (سماع الحديث)؛ لذا لم يستدل على مقصدهم الحقيقي بينما استدل الشاعر عليه؛ إذ إنّه استطاع تلقي المنبهات غير اللغوية مثل (الغمز، والإيماء، والإشارات بالعيون، والإشارات بالأيد) ، وهي منبهات قد تخفى على البصراء فلا شك أنّها أُخفيت على بشار بن برد.

ويمكن تطبيق قاعدة اللباقة على النص بقرائن في البيت الثاني ( قلل من خسارة الغير) بأن صرح بأن المخاطب أعمى وكأنه يعتذر له فضلا عن التـــأكيد على أن الهنات تخفى على المبصرين فكيف بمن لا يبصر ، ويظهر التأدب الأقصى على قواعد ليتش في البيت الثالث (فما علمك)

وعمل هذه المنبهات على تعديل البيئة المادية للمتلقي؛ فيدرك المتلقي مقاصد المتكلم بذلك التعديل ويُطلق على عملية التعديل للبيئة المادية وجلب انتباه المتلقي إلى ظاهرة ما: (الإظهار)، بينما يُطلق على عملية كشف المتلقي لمقاصد المتكلم وإدراكها بالإظهار: (الاستدلال).

وبذلك تكون كلّ من عملية الإظهار وعملية الاستدلال عملية واحدة ولكن ينظر إليها من زاويتين مختلفتين زاوية المتكلم المنهمك في الإظهار، وزاوية المتلقي المنهمك في الاستدلال، وعليه فالتواصل هو عملية إظهارية واستدلالية في الوقت

(1) ديوان الباهلي (محمد بن حازم الباهلي)، تح: محمد خير البقاعي، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع–دمشق، (د.ط)،1402هـ –1982م: 145–146.

نفسه [1] ؛ لذا يرى سيبربر وولسون" أنّ وصف التواصل بمعايير المقاصد والاستدلالات يعد بديهيا؛ فنحن جميعا متكلمون ومستمعون، فبوصفنا متكلمين نحن نريد من مستمعينا أن يتعرّفوا على قصدنا أن نخبرهم عن وضع معين. وبوصفنا مستمعين نحن نحاول أن نتعرّف على ماهية ما يقصد المتكلم أن يخبرنا به"[2]؛ فالمقصد عامل مهم في أي خطاب.

وممّا يؤكد عليه سيبربر وولسون على عدم وجود طبقتين متمايزتين واضحتي المعالم من حالات الإظهار، وإنّما هناك سلسلة متصلة تتراوح بين (جعل الشيء مرئيا)، إذ يتوفر دليل مباشر وقوي على الطبقة الأساسية من المعلومات، و(القول انّ)؛ إذ تكون كلّ الأدلة والبينات غير مباشرة على عكس غرايس الذي كان من بين اهتماماته الرئيسة أن يضع حدا فاصلا بين ما أسماه (الدلالة الطبيعية أو المعنى الطبيعي)، والمعنى غير الطبيعي"[3] ، وهذا الإظهار يعمل على تزويد المتلقي بنوعين من المعلومات [4]:

- النوع الأول: طبقة أساسية من المعلومات التي تم التنبيه إليها التي يمكن أن تكون بخصوص أي شيء على الإطلاق.
- النوع الثاني: المعلومات التي تفيد بأنّ الطبقة الأولى من المعلومات قد تم التنبيه إليها بصورة مقصودة.

وهذه المعلومات لها قصدان : الإخباري والتواصلي كما ذكرنا سابقا وهما يُعدان معيارين للسلوك الإظهاري كما أشرنا قبل قليل ومن ثم فلا يتم التعبير عن كلّ الافتراضات[5] تعبيرا إظهاريا إذ يمكن ألا يوجد لا قصد إخباري ولا تواصلي مثل :

(1) ينظر: التواصل من منظور نظرية المناسبة لدان سبيربر وديدري ولسون، فاطمة الزهرة فتاك، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد: 12 ، العدد: 1، 2019م : 36.

(2) نظرية الصلة أو المناسبة: 106.

(3) ينظر: المصدر نفسه : 105.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 104.

(5) إن ما نقصده بالافتراضات : هي الأفكار التي يعاملها الفرد بوصفها تمثيلات لعالم الواقع (ينظر: المصدر نفسه: 20)

(حالات التبليغ العرضي للأخبار)، كما يمكن أن يوجد قصد إخباري، ولكن مع غياب القصد التواصلي كـــ(التواصل الصريح غير الإظهاري)؛ لذا على المنبهات الظاهرة أن تخضع لثلاثة شروط ليكون الاتصال إظهاريا وهي[1]:

- جذب انتباه المتلقي.
- توجيه هذا الانتباه نحو مقاصد المتكلم.
- كشف مقاصد المتكلم

إذ إنّه في احيان كثيرة لا يمكن معرفة الأخبار التي يسعى المتكلم لتبليغها سوى باكتشاف المقاصد، لنفترض أن (زينب) هي فتاة تتجوّل في بلد لا تعرف لغة أهله تخرج من الفندق مرتدية ملابسا صيفية وهناك رجل عجوز جالس بالقرب من الفندق، وحين يرى زينب ، ينظر إلى السماء بصورة إظهارية، وحين تنظر زينب إلى الأعلى ترى بعض الغيوم الصغيرة جدا التي ربّما تكون قد لاحظتها، ولكنها عادة لا تولي لها انتباهًا إضافيًا إلى مثلها؛ فهي غير ملائمة بالنسبة إليها أو إنّها تمتلك ملاءمة ضعيفة لها، ولكنها ملائمة للرجل العجوز بمقتضى معارفه فهو يعرف المنطقة وطقسها، ولكن سلوك الرجل العجوز بكونه (تواصل اظهاري استدلالي) عندما تقصد بتوجيه انتباه زينب إلى الغيوم جعلها ملاءمة لها[2] ، فتحاول أن تكتشف ما الذي يحاول الرجل أن يجعلها تفهمه؟ أي : ما المعلومات التي يحاول أن يجعلها ملائمة لها؟ وبعد ذلك يصبح لدى زينب ما يدعوها للاعتقاد بأنّه كان يحاول أن يُظهر لها أنّه يعتقد أن السماء ستمطر. ونتيجة لهذا الإظهار، امتلكت معلومات لم تكن متاحة لها من قبل، وهي احتمالية حقيقية لهطول الأمطار وإنّه من الأفضل أن تبقى في البيت [3] على الرغم من أن السُّحب كانت موجودة من قبل أن تنظر إليها زينب إلاّ أنّها لم تلاحظها؛ ويعود ذلك إلى أننا لا يمكن أن نعطي انتباهنا لكلّ الأخبار الصادرة عن العالم الخارجي؛ فعلى الرغم من أنّ كلّ أمر قابل للرؤية يُرى فعلا إلاّ أنّه

(1) ينظر: مدخل إلى دراسة التداولية: 151.

(2) ينظر: التداولية اليوم: 83.

(3) ينظر: نظرية الصلة أو المناسبة: 101-102.

لا بد أن تكون بعض الأشياء أكثر رؤية من الأخرى (حسب عناية الرائي)، إذ يرى ما يهمه دون الالتفات إلى ما لا يهمه، وبالطبع تلفت أسماعنا أمور أكثر من غيرها، فصوت انفجار مثلا يكون أكثر عناية لنا من صوت شيء بسيط كدقات ساعة على حائط، ولكن بالطبع هناك ظواهر معينة لا يمكن تفادي القيام بها في بيئة إدراكية معينة، فحاسة السمع تتناول عددا كبيرا من الأصوات المتنوعة التي لا يصل إلاّ القليل منها إلى مستوى الانتباه أو العناية؛ لذا فقد يتم علاج بعض المعلومات في المستوى الأول من التأويل ثم نبعد لأنّها أضعف احتمالا للملاءمة بينما تمر أخرى إلى المستوى الأعلى وهي التي يظن الفرد أنّها الملائمة؛ لأنّها تغير بشكل ما نظام اعتقاداتنا أو تثير في أذهاننا شيئا خاصا؛ لذا "تكون ظاهرة من الظواهر ملائمة للفرد إذَا ــ وفقط إذَا ــ كان افتراض أو أكثر من الافتراضات التي تُظهرُها ملاءمة له"[1] والمنبه هو ظاهرة من الظواهر المصممة لتحقيق التأثيرات الإدراكية وهكذا، فإن ملاءمة المنبه هي الملاءمة نفسها لأية ظاهرة أخرى.[2]

لكي يكون المنبه جديرا بانتباه الفرد يجب أن يكون أكثر ملاءمة من أي ظاهرة من الظواهر الخارجية أو التمثيلات الداخلية التي قد يعالجها الفرد في ذلك الوقت، ولكي تكون ملائمة بالقدر الكافي فإنّه يعتمد على الطريقة التي تكونت بها المعلومات المتاحة أو التي يمكن بها أن تجعل المعلومات متاحة، وهو يختلف كذلك باختلاف درجة الوعي الفكري للمتلقي ففي حلقة دراسية يكون الجميع متيقظين، وعلى استعداد لتوظيف مقدار كبير من الجهد الفكري؛ لإصدار المعلومات ومعالجتها مقارنة بمجموعة أصدقاء يتحاورون في مطعم أو مقهى لمجرد الدردشة.

إنّ التواصل اللغوي يولد أقوى أشكال التواصل في حين أن التواصل غير اللغوي يعد تواصلا ضعيفاً نسبياً، وعلى أية حال فحسب دان سيبربر وديدري ولسون معظم التواصل البشري يكون قصديا؛ لسببين هما : "السبب الأول هو الذي اقترحه (غرايس)، أي: أنّ الشخص بإصداره دليلا مباشرا على قصده الإخباري، يستطيع أن

(1) ينظر: المصدر نفسه: 265.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 266.

يوصل سلسلة من المعلومات أطول بكثير مما يمكن توصيله بواسطة إصدار دليل مباشر على المعلومات الأساسية نفسها.

والسبب الثاني الذي يدعو البشر إلى التواصل، هو لكي يعدلوا ويوسعوا البيئة الإدراكية التي يشارك أحدهم الآخر فيها "[1] .

وأمّا في الشّعر فمن دون قصدية الشاعر يكون الشّعر مجرد عبث ولغو وهذر، فالقصد بوصلة تتحكم بالقصيدة من اختيار الإيقاع والقافية، والألفاظ، وطريقة تركيبها مع بعضها البعض للوصول إلى المعنى، فالشاعر تارة يأتي بالمعنى صريحا وأخرى يأتي به ضمنا.

ولكن يجب أن يؤخذ بالحسبان أنّ للقصيدة الشّعرية مقاصد قد تخرج عن مقاصد المبدع إذ تباغته وتظهر على السطح؛ فالنص حمّال أوجه لما فيه من غموض، وانزياح، واستلزام، وتضمين، وتلميح، وترميز. والشُّعَراء كما يقول الجرجاني: "أمراء الكلام يصرفونه أنى شاءوا ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللفظ وتعقيده، ومد المقصور وقصر الممدود، والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته، واستخراج ما كلت الألسن عن وصفه ونعته والأذهان عن فهمه وإيضاحه، فيقربون البعيد ويبعدون القريب، ويحتج بهم ولا يحتج عليهم، ويصورون الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل"[2] فاتفق العرب على أنّه يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره، فيجوز لهم مخالفة اللغة كأطلاق المعنى، أو تعقيد اللفظ إذ هو يتلاعب في الكلمات لتخدمه من ناحية القافية؛ فالقوافي قد تكون متعسرة، كما يجوز له كسر بعض القواعد كالمد والقصر، أو التسكين والتحريك وغيرها للتغلب على اختلال الأوزان الشّعرية. يقول الشاعر محمد بن حازم الباهلي في قصيدة مدح للحسن بن سهل:

---

(1) نظرية الصلة أو المناسبة: 121.

(2) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1418هـ -1998م :2/ ٣٩٩.

"وَقَالُوا: سَيِّدٌ يُعْطِي جَزِيلًا وَيَكشِفُ كُرْبَةَ الرَّجُلِ الْكَظِيمِ
فَقُلْتُ: مَضَى بِذَمِّ الْقَوْمِ شِعْرِي وَقَدْ يُؤْتَى الْبَرِيءُ مِنَ السَّقِيمِ"[1]

إنّ الحسن بن سهل لكثرة تقصيه أمور الناس وحوائجهم، يعرف مطالبهم قبل أن يطلبوا، ويشعر بأوجاعهم قبل أن يتكلموا، فالرجل الكظيم لكربته أي: الذي لا يُبدي كربته ولا يُظهرها للناس[2]. الملاحظ من السّياق اللغوي أن رد الباهلي كان بعيدًا كلّ البعد عن السؤال، وغير ملائم له؛ فهو يذهب إلى الحديث عن هجائه في حضرة الأمير، ويمكننا إرجاع الأبيات الشّعرية من عدم الملاءمة إلى الملاءمة بفهم مقصدية الشاعر، في أول الأمر نستعين بسياق الحال إذ إنّه يساعدنا في الوصول إلى قصدية الشاعر، يذكر ابن معصوم المدني(ت:1120هـ) القصة الكاملة خلف هذه القصيدة فيقول: "وحدث عن نفسه [الباهلي]، قال :عرضت لي حاجة في عسكر الحسن بن سهل، فأتيته وقد كنت قلت في السفينة شعرًا، فلما دخلت على محمد بن سعيد بن مسلم الباهلي، فانتسبت له فعرفني، وأنزلني وأكرم مثواي. ثم قال لي :ما قلت في الأمير؟ قلت :لم أقل بعد شيئا، فقال له رجل كان معه في السفينة: بلى قال : أبياتا. فسألني أن أنشده إياها"[3] ، فأنشدته:

وَقَالُوا: لَو مَدَحتَ فَتًى كَرِيمًا فَقُلْتُ: وَكَيْفَ لِي بِفَتًى كَرِيمِ"[4]

ثم يقول الشاعر: "فلما أنشدته هذا الشّعر

- قال لي: أ بمثل هذا الشّعر تلقى الأمير؟ والله لو كان نظيرك ما جاز لك أن تخاطبه بهذا.

(1) المصدر نفسه: 132.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة (كظم): 12/ ٥٢٠.

(3) الديارات، الشابشتي، أبى الحسن علي بن محمد (ت: 388هـ)، تح: كوركيس عواد، مطبعة المعارف –بغداد، ط :2، 1386هـ–1966م: 276، وينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع، علي صدر الدين ابن معصوم المدني (ت: 1120هـ)، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان–النجف الشريف ، ط: 1، 1389هـ–1969م:11/2.

(4) أنوار الربيع في أنواع البديع: 11/2.

**- قلت: صدقت لذلك قلت لك: إني لم أمدحه بعد، ولكني سأمدحه مدحة تشبهه.**

**- قال: افعل!**

**ودخل إلى الحسن فأخبره الخبر، وأنشده الشّعر واعجبه من جودة البيت الأخير[1] ، فأعجبه، فأمر بإدخالي إليه لغير مدح. فأدخلت. فأمرني أن أنشده الشّعر، فاستعفيته: فلم يُعفني، وقال: قد قنعت بهذا العذر، إذَا لم تدخلني في جملة من ذممت! ومع هذا فعلينا حسن مكافأتك"[2].**

**على الرغم من أنّ الباهلي تحدث عن هجائه في حضرة الأمير، وأنّ هجاءه قد أصاب الكل الصحيح أي: البريء الذي لا يخالط ودّه شيء والمريض أي الذي يُخطأ بحقه ويبدي له العداوة والبغضاء. إلاّ أنّه لم يقصد المعنى الحرفي وإنَّما قصد استلزام معنى ضمني (بأنّه يُكثر من الهجاء ولم يمدح أحدًا، وأن خروج الأمير عن جملة من هجاهم هو مدح بحد ذاته)، وهذا وفقًا (للنظرية القصدية) لغرايس يمثل المقصد الأول: أي (قصد المتكلم في حمل المتلقي على معرفة معلومة معينة ثم الاستجابة لها)، وهذا ما حدث فعلا ؛ إذ إنّ الحسن بن سهل تعرف على قصد الباهلي فقال: (قد قنعت بهذا العذر، إذَا لم تدخلني في جملة من ذممت!)، تعرّف الأمير على قصد الباهلي يمثل القصد الثاني حسب (النظرية القصدية)، بينما يمثل رد الأمير القصد الثالث.**

**وأما بحسب نظرية الملاءمة فإنّ (التواصل الإظهاري الاستدلالي) نجح بين طرفي الخطاب بفعل (الإظهار) الذي قام به الباهلي بمحاولته جذب انتباه الأمير لمقصده الاخباري وهو (المعنى المستلزم) ولقصده التواصلي (أن يتعرف الأمير على قصده) بفعل (الاستدلال) إذ نجح الأمير بالكشف عن مقاصد الباهلي.**

**في حين أن التواصل لم ينجح بين الباهلي ومحمد بن سعيد بن مسلم؛ إذ إنّ الأخير لم يستدل على مقصد الشاعر بدليل قوله (أ بمثل هذا الشّعر تلقى الأمير؟ والله**

---

**(1) البيت الاخير : وَما الآمالُ تَعطِفُني عَلَيهِ **** وَلَكِنَّ الكَريمَ أَخو الكَريمِ**

**(2) الديارات: 277، وينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع: 12/2.**

لو كان نظيرك ما جاز لك أن تخاطبه بهذا).

الخاتمة

إنّ المقاربات التداولية تدرس النص أو الخطاب الأدبي في علاقته بالسّياق التواصلي، وتعنى بفهم العلاقات الموجودة بين المتكلم والمتلقي ضمن هذا السّياق؛ فالتداوليات تجاوزت السؤال عن البنية أو عن الدلالة، لتهتم بالسؤال عن الوظيفة والدور والرسالة والسّياق الوظيفي وبظهور العلوم المعرفية التي أحدثت (ثورة معرفية) بخروجها عن المنهج السلوكي وعنايتها بالعمليات العقلية ظهرت التداولية المعرفية (pragmatics Cognitive): التي تمثل حقلاً علميا جديدا، نتج عن تداخل متكامل ومنسجم بين مجموعة من المناهج والنظريات والعلوم أبرزها علم النفس المعرفي، فتقوم على تفسير العمليات الذهنية في التواصل؛ بتوظيف مجموعة من الآليات والمفاهيم وطرائق العلوم النظرية العلمية كالمنطق والمعلوماتية والعلوم الاجتماعية أو الإنسانية كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم السياسة وغيرها، وهي تستمد أطروحاتها من التحولات المعرفية المرتبطة بشكل رئيس بالتطورات التي أحدثتها هذه العلوم. ولقد أفضت بنا هذه الدراسة التي أردنا بها الكشف عن إمكانية التداولية المعرفية في اقتحام عالم الشّعر والغوص في جمالية كلمات الباهلي وسحرها بكل ما تحمله من خصائص تداولية ومعرفية إلى:

ــ يمكننا عدُّ الشّعر خطابا موجها من شاعر وهو المرسل إلى قارئ وهو المرسل إليه. فالشّعر هو الأداة التواصلية التي تربط بين الشاعر ومتلقيه انطلاقًا من أدوات لغوية وغير لغوية استعان بها الشاعر لتوثيق تلك الآصرة، وهذا ما كشفت عنه الآليات والمفاهيم التي قامت التداولية المعرفية ببلورتها وإخراجها في حلة جعلتها تتميز وتنفرد عن كل باقي النظريات.

تتمثل التداولية المعرفية بأعمال غرايس وسبيربر وولسون؛ فعلى الرغم من أن نظرية أفعال الكلام زامنت نشأة العلوم المعرفية إلاّ أن التداولية المنبثقة منها لا تبدو معرفية، فهي أقرب إلى السلوكية في بعض الوجوه منها إلى العلوم المعرفية، ولكن قواعد المحادثة والاستلزام التخاطبي التي جاء بهما غرايس ينخرطان في التيار المعرفي وتطوّرت هذه الأفكار الغرايسيّة لدى سبيربر وولسون لتكون عندهما

التداولية المعرفية في قمتها؛ إذ قاما بإخراج التداولية من دائرة اللسانيات؛ ليجعلاها شعبة مستقلة؛ لأنّ مجال الحركة الذي تتمتع به يتجاوز الإطار الضيق الذي خصصه لها من رأى فيها جزءًا من اللسانيات.

ــ تبين في البحث أن لدى العرب مظاهر للتداولية المعرفية وذلك من عنايتهم بالسّياق، والقصد، والتأويل، والملاءمة(المناسبة) وغيرها من المفاهيم التي اعتنت بها التداولية المعرفية.

إنّ الدراسات اللغوية الحديثة تبتعد عن دراسة الجمل بوصفها وحدة لسانية أساسية، يؤخذ بعين الاعتبار، الوحدات المتجانسة الأكثر اتساعا (فقرات، أجزاء من الخطاب، حوارات...)؛ فعند دراسة تلك الوحدات يُبحث عن عناصر سياقية للنص نفسه أو للخطاب.

ــ السّياق عند سبيربر وولسون ليس ثابتا ومحددا وإنما هو عرضة للانتقاء والتعديل طيلة عملية الفهم ويتكون السّياق من: الصيغة المنطقية للقول، المعلومات الموسوعية، معلومات مكتسبة من البيئـــة المادية، معلومات تستمد من تأويل الملفوظات السابقة.

ــ إنّ للشعر سياقا خاصا يبيح للشاعر أن يتكلم مع الخليفة أو الأمير أو غيرهما دون استعمال الألقاب المناسبة لهم، بل ويتيح له أن يأمر وينهي في الوضع الذي لا تكون فيه هذه الأفعال متاحة على مستوى التواصل العادي. وقد وجدنا الباهلي يتحدث مع الأمير الحسن بن سهل بأسلوب لا يكون مقبولا في الخطاب الكلامي العادي. ولم يحدث ذلك لأنّ الباهلي لم يراعِ الخليفة أو الأمير، ولكنه حدث لمراعاته مقام أولى هو مقام الشّعر.

ــ لم يكن القدامى غافلين عن أهمية القصد؛ بل كان بؤرة لعنايتهم إذ إنّه يسهم في تشكيل المعنى في القولات، وفي تأويل المتلقي لها؛ ولا سيما حين نعني أكثر مما نقول.

ــ يعد جون سيرل من أبرز الفلاسفة المعاصرين انشغالا بالمقصدية، بينما اشتهر غرايس بـــ(النظرية القصدية) التي امتازت بتعدد المقاصد وتداخل مستوياتها، في

**حين أن سبيربر وولسون يذهبان إلى أن للمتكلم مقصدين: الأول تواصلي والثاني اخباري ولا يتحقق الثاني إلاّ بتحقق القصد الأول.**

**ــ لا يشترط في الكفايات التأويلية (اللغوية، المقامية، الموسوعية، الاستدلالية) أن تعمل كلها معًا في تأويل أي نص، ففي الخطاب المكتوب تكون الحاجة المقامية أقل من الخطاب الشفوي الذي تكون حاجته للكفاية اللغوية .**

**ــ إن الكفايات التأويلية الأساسية تحتاج بدورها إلى كفايات (تابعة أو مساعدة) فنجد أنّ الكفاية التداولية تتطلب الكفاية الإدراكية في حين أنّ الكفاية الاستدلالية تتطلب الكفاية المنطقية.**

**ــ اللغة الشّعرية لغة إيحائية فهي تعتمد على كفايات المتلقي أو القارئ في الكشف عن قصود الشاعر الخطاب الشّعري؛ لذا لم يتم الوصول إلى قصد الباهلي بكثير من الأحيان إلاّ بالكفايات التأويلية بسبب لجوئه للتعريض والاستعارات والكنايات والاقتباسات.**

**ــ مبادئ غرايس التخاطبية مبادئ تأويلية أكثر من كونها قواعد معيارية أو قواعد سلوكية فالمتلقي يستدل على مواضع الخروج عن المألوف بهذه المبادئ.**

**ــ يتمرد الشّعر على قوانين غرايس وذلك يمنح فرادة تميزه عن الكلام العادي وعن غيره من الأجناس الأدبي ويتأتى ذلك من خصوصية الخطاب الشّعري.**

## References :


.1Foreign media appendix. .

2. An Introduction to Cognitive Linguistics, Thahabi Hamo Al-Hajj, Al-Khattab Magazine, Issue 14, 2013: 29.

3. Pragmatics today: 51-52, and pragmatics, its origins and direction, Jawad Khatim, Dar Treasures of Knowledge for Publishing and Distribution, Amman - Jordan, 1437 AH - 2016 AD: 59, Cognitive Sciences: Reality and Prospects, Omar Bicho, https://www.aljabriabed .net/n96_02bichou.htm.

4. The Philosophy of Mind, Cognitive Sciences, and Phenomenology, Shawn Gallagher, translated by Badr El-Din Mustafa, Believers Without Borders for Studies and Research, (Dr. T), 2019: 5

5. The Philosophical Lexicon, Jamil Saliba: 1/53-54.

6. Dictionary of Psychology and Psychiatry, English-Arabic, Jaber Abdel-Hamid Jaber and Alaa El-Din Kafafi, Dar Al-Nahda Al-Arabia, Cairo, (Dr. I), 1993 AD: 6/2690.

7. Psycholinguistics, its approaches, theories and issues, Jalal Shams El-Din, University Culture Foundation, Alexandria - Egypt, (Dr. I), 2003 AD: 1/98.

8. Semantics and Gnosticism, Ray Jakendoff, translated and presented by: Abd al-Razzaq Bannour, Dar Sinatra - National Center for Translation, Tunis, (Dr. I), 2010: 24.

9. An introduction to the study of pragmatics, the principle of cooperation and the theory of appropriateness and interpretation, Franciscus Ramos, translated by: Yahya Hamday, Dar Nippur for Printing and Publishing - Iraq, vol.: 1, 2014: 61.

10. When we communicate, we change: 15, and the mystical deliberative before the deliberative, an introduction to the mystical foundation, d. Salah El-Din Yahya, Ishkalat Journal of Language and Literature, Volume: 9, Issue: 4, Year 2020: 57.

11. The mystical and deliberative perspectives, the horizons of hybridization, d. Saber Al-Habasha, research within the book (Studies in Gnostic Linguistics: Mind, Language, and Reality, Dr. Abd al-Rahman Muhammad Tohme, and Dr. Habib al-Muqaddamini, and Dr. Saber al-Habasha, and Dr. Afaf Muqo, and Dr. Omar bin Dahman, Riyadh, King Abdullah bin Abdulaziz International Center for Arabic Language Service, Kingdom of Saudi Arabia - Riyadh, I: 1, 1441 AH-2019 AD): 150.

12. The Encyclopedic Dictionary of Pragmatics, Moschlar and Ann Ripoll, TR: A group of professors and researchers, supervised by:

Izz al-Din al-Majdoub, reviewed by: Khaled Milad, Dar Sinatra Publications, National Center for Translation, Tunisia, Edition: 2, 2010 AD

13. Intentionality from the Philosophy of Mind to the Philosophy of Language, Ocean Dalal, Journal of the College of Arts and Human Sciences, Issue: 6, 2010: 63.

14. See: Today's deliberative: 43, and an introduction to cognitive deliberation, Hamo al-Haj's gold, Kufa Journal, Issue 9, 2014: 115.

15. In deductive deliberations: 40.

16. Logic and Conversation, Paul Grace, translated by Muhammad al-Shaibani and Saif al-Din Daghfoush, research within the book (Views of Linguistic and Semantic Theories in the Second Half of the Twentieth Century - Arabized Selections, supervised and coordinated by Kazeddin Majdoub, Tunisian Academy of Sciences, Literature and Arts "House of Wisdom" , Tunisia - Carthage, (Dr. T), 2012 AD): 2/618.

17. The theory of relevance is a revolutionary theory in communicating comprehensible categories and extensions, d. Aisha Hadim, Al-Khattab Magazine, Volume: 13, Issue: 2, Year 2018: 57.

18. Deliberative Intentionalism in Surat Al-Zumar, M. Shaida Khader Karim, Journal of the College of Islamic Sciences, Supplement, Issue: 58, 2019 AD: 24.

19. Lisan Al-Arab, Muhammad bin Makram bin Ali Abu Al-Fadl Jamal Al-Din Ibn Manzoor Al-Ansari Al-Ruwaifi'i Al-Ifriqi (T: 711 AH), Dar Sader - Beirut, vol.: 3, 1414 AH, article (about us): 15/105.

20. The purposes of Islamic law, Muhammad al-Taher bin Muhammad bin Muhammad al-Taher bin Ashour al-Tunisi (d.: 1393 AH), edited by: Muhammad al-Habib Ibn al-Khawja, Ministry of Awqaf and Islamic Affairs - Qatar, (Dr. I), 1425 AH - 2004 AD: 2/ 120,

21. Lisan al-Arab, Article (intention): 3/354-355, and see: Lexicon of Language Measures, Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, Abu Al-Hussein (T: 395 AH), Edited by: Abd al-Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr Public Publishing, (D.T), 1399 AH - 1979 AD, Article (intention): 5/95

22. (Intentionality and its impact on guiding grammatical rulings until the end of the fourth century AH), PhD thesis: Haider Jassem Jaber Al-Dinawi, supervised by: Fakher Jabr Matar, Al-Mustansiriya University, 2015: 18

23. Al-Muwafaqat, investigation: Abu Obeida Mashhour bin Hassan Al Salman, Dar Ibn Affan, I: 1, 1417 AH / 1997 AD: 5/54.

24. Al-Khasa'is, by Abu al-Fath Othman Ibn Jinni (d.: 392 AH), investigation: Muhammad Ali al-Najjar, Dar al-Kutub al-Masria, Vol.: 2, 1952 CE: 1/33.

) .25Intentionalism in the Arabic Linguistic Tradition (A Study of Theoretical and Procedural Foundations of Arabic Rhetoric) PhD thesis, Dalal Washen, supervised by: Muhammad Khan, Muhammad Kheidar University - Biskra, 2016: 176.

26. The Secret of Eloquence, by Prince Abi Muhammad Abdullah bin Muhammad bin Saeed bin Sinan Al-Khafaji Al-Halabi (d. 466 AH), corrected and commented on by: Abdul Muttal Al-Saidi, Muhammad Ali Sobeih Library and Printing Press and his sons - Egypt, I: 1, 1372 AH - 1952 AD: 259.

27. Lights on Contemporary Linguistic Studies, Nayef Kharma, The World of Knowledge, Kuwait, (Dr. I), 1978: 170.

28. Evidence for Miracles, Abd al-Qaher bin Abd al-Rahman al-Jurjani (d.: 471 AH), read it and commented on it: Abu Fahr Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Press - Jeddah, 3rd Edition, 1413 AH-1992 AD: 530.

29. Intentionality and its impact on guiding grammatical judgments: 44.

30. The Theory of Meaning in the Philosophy of Paul Grays, Salah Ismail, Dar Qubaa Al Haditha for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, (D.T), 2007: 8.

31. The pragmatics of the discourse, from the interpretation of the uttered to the interpretation of the discourse, by Anne Rupaul and Jack Moschlar, translation and commentary: Hassan Butclay, Dar Treasures of Scientific Knowledge - Amman, vol.: 1, 2020 CE: 72.

32. The theory of general speech acts, how do we accomplish things with words, Austin, translated by: Abdul Qadir Qenini, East Africa, 1991 AD: 121

33. The intentional dimension of the deliberativeness of verbs of speech in the Qur'anic discourse, Sharifa Ahmed Hassan Al-Qarni and Aisha Saleh Ahmed Babsil, Journal of Human and Social Sciences, Issue 1, Volume: 3-, 2019 AD: 106.

34. Intentionality is a pragmatic philosophical topic: from the philosophy of mind to the acts of speech. "John Searle as a Model," Hisham Sweileh, Journal of the History of Science, Issue: 8, Volume 2, 2017: 207.

35. Building Social Reality from Nature to Culture, John Searle, translated and presented by Hosna Abdel Samie, National Center for Translation, vol.: 1, 2012 AD: 11 Introduction to the Translator, Mind, Language and Society, Philosophy in the Real World, John Searle, Translated by: Saeed Al-Ghanmi, Al-Ikhtif Publications - Algeria, the Arab Cultural Center - Morocco, and the Arab House for Science, vol.: 1, 2006 AD: 207-208.

36. The intentional dimension of the pragmatics of speech acts: 106

37. Analysis of Poetic Discourse (Intertextuality Strategy, Dr. Muhammad Moftah, Arab Cultural Center, vol.: 3, 1992: 165.

38. Intentionalism: 203.

39. The Mind: A Brief Introduction, John Searle, translated by Michel Matias, The World of Knowledge - Kuwait, vol.: 1, 2007: 142.

40. In the origins of dialogue and the renewal of the science of speech, Taha Abdel Rahman, Arab Cultural Center - Casablanca, vol.: 2, 2000 AD: 45, and the intentional theory of meaning according to Grace, d. Salah Ismail, Annals of Arts and Social Sciences, Annals: 25, 2005: 49.

41. The Theory of Relevancy or Appropriateness in Communication and Perception, Dan Sperber and Deidre Wilson, translated by Hisham Ibrahim Abdullah Khalifa, reviewed by: Firas Awad Maarouf, Dar Al-Jadeed Al-Muttahidah, Vol.: 1, 2016: 56.

43. An Introduction to the Study of Pragmatics, the Principle of Cooperation and the Theory of Appropriateness and Interpretation, Franciscus Ramos, Translated by: Yahya Hamday, Dar Nippur for Printing and Publishing - Iraq, Edition: 1, 2014 AD: 150.

44. Pragmatics today is a new science in communication, Anne Rupaul, and Jacques Muschler, TR: Saif Al-Din Daghfus, Muhammad Al-Shaibani, review: Latif Zitouni, The Arab Organization for Translation, Dar Al-Tali'ah for Printing and Publishing, Lebanon-Beirut, 1st edition, 2003 AD: 79.

45. Communication and meaning, Dan Sperber, translated by: Abdel Aziz Benaish, 2016 AD, Anfas Internet, https://www.anfasse.org

46. The Semantic-Pragmatic Interpretation of Vocabulary Types of Competencies Required in the Interpreter, Idris Sarhan, Research in the Book of Pragmatics: 144.

47. From the secrets of language, Dr. Ibrahim Anis, Anglo Egyptian Bookshop - Cairo, vol.: 3, 1966 AD: 261.

48. Diwan Al-Bahili (Muhammad bin Hazim Al-Bahili), Edited by: Muhammad Khair Al-Baqai, Dar Qutaiba for Printing, Publishing and Distribution - Damascus, (D.T), 1402 AH - 1982 AD: 145-146.
49. Communication from the perspective of the theory of appropriateness by Dan Sperber and Deidre Wilson, Fatima Al-Zahra Fatak, The Academy for Social and Human Studies, Volume: 12, Issue: 1, 2019: 36.
50. What we mean by assumptions: are the ideas that the individual treats as representations of the real world (see: the same source: 20)1
51. Al-Mizhar in Language Sciences and its Types, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti (d.: 911 AH), edited by: Fouad Ali Mansour, Dar al-Kutub al-Ilmiya - Beirut, vol.: 1, 1418 AH-1998 CE: 2/399.
52. Al-Diyarat, Al-Shabashti, Abi Al-Hassan Ali Bin Muhammad (T: 388 AH), edited by: Korkis Awad, Al-Ma'arif Press - Baghdad, vol.: 2, 1386 AH-1966 AD: 276, and looks at: Anwar Al-Rabee' in the types of Badi', Ali Sadr Al-Din Ibn Masum Al-Madani (d.: 1120 AH), Edited by: Shaker Hadi Shukr, Al-Nu`man Press - Al-Najaf Al-Sharif, I: 1, 1389 AH-1969 AD: 2/11.

# *Intentionality in the light of cognitive pragmatics Read for selected models from The poetry of muhammad bin hazem al-bahily*

**Ulaa Hani Sabry* Abdullah Khalif Khudair ****

## Abstract

***Asst. Lect/ Department of Arabic Language/College of Arts/University of Mosul.**
****Asst.Prof/ Department of Arabic Language/College of Arts/University of Mosul.**

This research aims to shed light on the concept of intent or intentionality in the light of cognitive pragmatics, presenting and studying the concept with its application with this description on selected models from the poetry of Muhammad bin Hazem Al-Bahili, as intentionality contributes to shaping the meaning in the sayings, and to the interpretation of the recipient thereof; Interpretation depends on it, especially when we mean more than we say. The ancients and moderns took great care of intent, and the result of this care was the establishment of a theory of intent. The concept of intentionality was introduced into the analysis of linguistic phrases and understanding the speech of the speaker by philosophers such as (late Wittgenstein, Austin, Grace, Strasson, Searle). The application came to selected texts from Arabic poetry, although they were few due to the narrowness of the research papers, but they indicated what we wanted to clarify through them.

**Keywords: deliberative, cognitive, intent.**